مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 11 عدد 2 ديسمبر 2020
العنوان: منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة ص.ص.

منهج ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة

عز الدين بن سيفي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة خنشلة

azzedinebensifi@gmail.com

Iben Hmadouche El-Djazairi's Method in Medical Sciences and Pharmacy

Abstract: The thirteenth century Hijri (the eighteenth century according to Gregorian calendar) has marked a clear exception to the cultural history of Algeria. After the scientific decline and weakness period that lasted for virtually two centuries under the Ottoman occupation, during which Algeria had suffered from intellectual doldrums and scientific production downturn, the dawn of the eighteenth century has broken, with its lights of renaissance and thought lanterns, where the country gave birth to many scholars and the ologianswho had played a great role in reviving the cultural and scientific life in innumerable places the country over.

Abd elrrazzaq ben Hamadouche is considered as one of the brightest Algerian scientific figures whose influence deserves the great merit in paving paths to sciences and arts. For he was a bright mind in that age, he transcended his contemporaries, who were clinging only to translation and pastiche, excelling in the study of medicine, geometry and arithmetic books.

This paper tries to shed light on the scientific career of this learned, doctor, traveler, and writer, digging deep in to the circumstances of his birth and upbringing, investigating

المنارة للاستشارات

his culture by mentioning major masters (Sheikhs) from whom he acquired his knowledge, providing his large writings bibliography and his contributions in the fields of both medicine and pharmacy; the focus of this research, and highlighting his approach to the study of natural sciences..

Keywords: IBen-hamadouch; El-Djezairi; Method; Medicine; Pharmacy.

الملخص:

مَثَّل القرن الثالث عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، استثناءً واضحاً في تاريخ الجزائر الثقافي، ففي عصر الانحطاط والضعف العلمي الذي أصاب الجزائر خلال قرنيين من الوجود العثماني، والذي تعطلت فيه عجلة الفكر وتوقفت حركة الإنتاج العلمي، بزغ فجر القرن الثامن عشر، بأنوار النهضة ومصابيح الفكر، حيث أنجبت الجزائر مطلع هذا القرن المبارك علماء وفقهاء كثر، كان لهم الدور الفعّال في إنعاش الحياة الثقافية والعلمية بحواضر وبوادي البلاد.

ويُعدّ عبد الرّزاق بن حمادوش الجزائري أحد أعلام الجزائر الكبار، الذين كان لِوَهجهم فضلٌ كبير في إنارة دروب العلوم والفنون، حيث مثَّل استثناءً مشرقاً في هذا القرن المنير، ففي الوقت الذي كان علماء عصره منكبين على النقل والتّقليد، اجتهد عالِمُنا وزاد عليهم دراسة كتب الطب والهندسة والحساب، فانطلاقاً من آثاره ومؤلفاته الغزيرة والمتعددة المضامين نستشف مكانته المميزة بين علماء عصره.

ونحاول من خلال هذا المقال أنّ نتتبع سيرة ومسيرة هذا العلامة الطبيب، الرحالة الأديب، وذلك بالوقوف عند مولده ونشأته، وتقصي ثقافته بذكر شيوخ بلاده الذين تتلمذ على أيديهم، وعلماء المغرب والمشرق الذين قرأ عليهم، مع رصدِ آثاره ومؤلفاته في

المنارة للاستشارات

العلوم النقليّة، والحديث عن إسهاماته في مجالي الطب والصيدلة مبرزين منهجه في دراسة هذه العلوم .

الكلمات المفتاحية: ابن حمادوش؛ الجزائري؛ المنهج؛ الطب؛ الصيدلة.

مقدمة:

إنّ المتأمّل في تاريخ الجزائر الثَّقافي إبان العهد العثماني ليقف عند حقيقة واضحة، وهي ما شهدته الحركة العلمية والأدبية من جمودٍ وركود، فمقارنة بالعهد الزياني الذي عرفت فيه الجزائر - المغرب الأوسط - أَوْجّ مجدها الحضاري والفكري، نتيجة نمو الحركة التعليمية، فقد شَحّت موارد العلم ونَضبتْ مجاريه في العهد العثماني، وذلك راجعٌ في الأساس إلى اهتمام الدولة عصرئذٍ بالجانب العسكري البحري، وإهمال الجانب الثقافي العلمي، كما أنّ حكام الدولة قرّبوا الضباط وخبراء الجيش من دواوينهم، وأبعدوا أهل العلم وشيوخ الفقه من بلاطاتهم، ولما كان الوضع الثّقافي لأي بلد يأخذ اتجاهه من خلال الوضع السّياسي والاجتماعي العام، فقد ظلَّ المشروع الثّقافي معطلاً ومشلولاً، إلا أن هذا لا ينفي مطلقاً وجود بعض الفترات الخصبة من العطاء، فمثّل القرن الثّامن عشر الميلادي استثناءً واضحاً في تلك القرون العجاف، حيث أنجبت الجزائر جيلاً من العلماء الكبار الذين قادوا المسيرة العلمية آنذاك.

حيث برزت أسماءٌ كثيرة، خلّفت تراثاً لا يستهان به في شتى المجالات والتخصصات، ومن أبرز علماء القرن الثامن عشر، العالم الطبيب الرحالة الأديب عبد الرزاق بن حمادوش، الذي يُعدّ بحق فريد زمانه وعصره، ونهدف من خلال هذا المقال بعد التعريف بهذه الشخصية المغمورة، إبراز دوره في إنعاش الحركة العلمية بالجزائر خلال القرن الثامن عشر، كما نود الوقوف على إسهاماته العلمية في مجال الطب والصيدلة، والتعرف على منهجه في العلوم الطبيعية.

المنارة للاستشارات

وتتمحور إشكالية هذه الدراسة حول الإسهام العلمي والأدبي لابن حمادوش في العلوم العقلية والنقلية، ومنهجه في دراسة الطب والصيدلة، ولاسيما وأنه ولد وتربى في بيئة تتكئ على النص والنقل، وتعتمد في التطبيب على التمائم والخرافة. ولتحقيق أهداف هذه الورقة البحثية نطرح الأسئلة التالية :

- ما مدى مساهمة ابن حمادوش الجزائري في علوم الطب والصيدلة ؟

- هل اتبع ابن حمادوش في دراسته للطب والصيدلة نهج علماء عصره ؟ وكيف كان منهجه في دراسة هذه العلوم؟.

مولده ونشأته:

هو عبد الرزاق بن مُحمد بن أحمد بن حَمادوشْ الجزائريُّ(نويهض عادل، د.ت: 365) الدار والمنشأ، الأشعري العقيدة، المالكي المذهب، الشريف النسب(ابن حمادوش عبدالرزاق، 2011: 29)، ولد في مطلع القرن الثّاني عشر الهجري نهاية القرن السّابع عشر الميلادي في مدينة الجزائر سنة 1107ه الموافق ل 1695م (سعد الله أبوالقاسم، 1990: 223) ، في أسرة متوسطة الحال، تلقب بأسرة الدباغ لأن والده وعمه كانا يشتغلان بالدباغة(ينظر التعليق رقم 1) ، توفي والده الحاج محمد الدباغ وهو لا يزال صغيراً، فكفله عمّه الذي زوّجه إحدى بناته. عاش ابن حمادوش حياة قاسية مليئة بالفقر والضيق، ولم يستطع شق طريقه إلى الثّروة والجاه كما فعل أقرانهُ وأرباب السُّلطة من العلماء والفقهاء، وقد أثرت حالته المادية في حياته الزوجيّة، فتزوج مرة ثانية من ابنة أمين الصَّفَارين الثرية والتي كانت تحترف صناعة النحاس وتلميعه، إلا أنّ هذا الزواج هو الآخر لم ينجح، وطلبت زوجته الثانية الطلاق وفارقته (سعد الله أبوالقاسم، 1998: 425).

ويذكر ابن حمادوش في رحلته أنه خلَّف من زوجته الثانية توأمين الحسن والحسين، توفي الحسن في صغره(ابن

المنارة للاستشارات

حمادوش عبد الرزاق، 2011: 115)، أما الآخر فلم نعثر في باقي الرحلة على سيرته. عاش ابن حمادوش مرتحلاً بين المشرق والمغرب، فحجَّ وعمره لا يتجاوز الثّانية والعشرين (Edgezairy Abd Er- razzaq, 1874 : 1)، ورغم درايته بحرفة الدباغة إلاّ أنه كان ميالاً لصناعة الكتب، فبرع في تجليدها ونسخها، وكان له دكان لصناعة وبيع الكتب مقابلاً الجامع الكبير في مدينة الجزائر(سعد الله أبوالقاسم، 1998: 292)، عاش ابن حمادوش خلال القرن الثّاني عشر الهجري، الثّامن عشر الميلادي، إلى أن تجاوز التَّسعين، حيث عاصر تطورات اجتماعية وسياسية لا شك أنها أثرت بعمق في صقل شخصيته، حيث ذكر في رحلته بعض الثّورات والقلاقلِ الداخلية، كثورة زواوة وبني جلاب، وتحدث عن الحرب والصُّلح بين الجزائر، والدنمارك، أمّا في المغرب فقد شاهد عيانا ثورة أحمد الرّيفي بإقليم تيطوان على السُّلطان عبد الله بن إسماعيل، التي روى أحداثها بشيء من التّفصيل، كما وصف آثارها على الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصادية بالمغرب. توفي ابن حمادوش بعد أن بلغ التسعين من العمر في المشرق وأغلب الظن أنّ المنية وافته بمصر ودفن بها، وكان ذلك سنة 1200ه 1786 م(سعد الله أبو القاسم، 1998: 425).

شيوخه ومعلميه:

تعلّم ابن حمادوش وتثقّف عن طريق الدرس والإجازة والرّحلة، فرغم أننا لا نتوفر على معلومات كافية حول المرحلة الأولى من تعليمه إلا أننا لا نستبعد أنّ يكون ابن حمادوش قد تثقف بثقافة معاصريه في الكتاتيب والمساجد، فأخذ اللغة والفقه، والحساب، والتَّصوف، والتَّوحيد من الكتاتيب(سعد الله أبوالقاسم، 1998، 426)، وحفظ القرآن والحديث في المساجد، أمّا المرحلة الثانية من تعليمه فقد ذكرها في رحلته لسان المقال « ... أن كل العلوم تلقاها بالدرس إلا الكمياء والسيمياء فقد أخذها بالإجازة...» (ابن حمادوش، 2011: 146)، وتثقف ابن حمادوش على يد شيوخ بلاده وعلماء المغرب والمشرق، كما ذكر في رحلته أنه قرأ في الجزائر على الشّيخ محمد

المنارة للاستشارات

بن ميمون صاحب التُّحفة المرضيّة، والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي، وأحمد بن عامر صاحب نحلة اللبيب، والمفتي الشّاعر ابن علي وعبد الرحمن الشّارف، وأحمد الزَّرزوق البوني (سعد الله أبوالقاسم، 1982: 27) .

أمّا ابن ميمون الجزائري فقد أخذ عنه دروساً في الأدب والتاريخ، والفقه (سعد الله أبوالقاسم، 1982: 24)، وأخذ علم معرفة الأعشاب عن محمد بن كحنجل، الذي قال فيه «... كان عشاب بلدنا... » (ابن حمادوش، 2011: 146) كما يذكر ابن حمدوش أنّ ابن كحنجل كان يصطحبه معه إلى جبال المنطقة لاكتشاف الأعشاب وجردها، وتصنيفها.

أمّا في المغرب فقد طاف ابن حمدوش في حواضره وباديه دارساً ومستجيزاً، فنزل تيطوان وفاس، ومكناس، أين قرأ ابن حمادوش على محمد بن عبد السّلام البناني الفاسي، بجامع زاوية سيدي الناصر(ابن حمادوش عبد الرزاق،2011: 34)، والذي مدحه في قصيدة طويلة ذكرها في لسان المقال، ومما جاء فيها:

سَموتَ فلم يكن بِقربك نَازلٌ فَكُنت في أوج العزّ تمُطرُ بالسّوَالِ

فأنت هو الشَّمسُ المنيرةُ في الورى لكَفهفكَ قد تأوي الركائبُ للظِّلِ

طَلعتَ بأرضِ الغربِ فكنتَ نهارها ففي نُوْركَ الإسلام تَذهبُ في السّبلِ

أيا شيخنا البناني الاسم محمدٌ فقد شهدتْ لكَ الأكابر بالفضلِ

أجرني وأطلق لي رواية كلما رويته عن أشياخ عزّ أرني الطولِ

(ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 39)

المنارة للاستشارات

كما لازم ابن حمدوش الشّيخ أحمد الورزازي التيطواني، الذي أجازه في المنطق(ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 35)، وأحمد السرائري، والفقيه أحمد بن مبارك صاحب الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، واتصل بالشّيخين عبد السلام القباب، وعبد القادر الفاسي، وقال عنهما انه لم يحصل منهما على شيء(ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 35- 36)، ويظهر أنّ الفاسي قد أصبح عاجزاً عن العطاء بعد أنّ تقدم به السن(حركات ابراهيم، 1994: 23)، أمّا في تونس فلم يذكر ابن حمادوش في رحلته سوى الشّيخ محمد زيتونة الذي يسميه شيخنا، والشيخ محمد الشافعي الذي التقى به في الجزائر هارباً من محمد باي.

وتتلمذ في الطب بالدرسِ على يد الطبيب العالم عبد الوهاب أدراقْ طبيب قصر السُّلطان المولى إسماعيل، الذي مدحه ابن حمدوش في قصيدة طويلة، جاء في مطلعها.

أيا شيخنا عبد الوهاب سعادة لتعلم ما أخذ الفؤاد من الحدسِ
لك الهيبة التي يذل لها الفتى وأسد الشرى والمارقين من الأنسِ

(ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 82)

وقال من قصيدة أخرى طالباً الإجازة :

أيا سيدى عبد الوهاب تحية وبشرى لكم أهدى وأندى من الظل
أتيتك يا ملجأ البرية كلها تناولني علماً فنبرأ من الجهل

وقد اعتنى ابن حمادوش بالطب وهو لا يزال في شبابه، وقد كتب عن نفسه بأنه أصبح طبيباً وصيدلياً وعشاباً وافتخر بذلك، وكان شديد الحرص على الصيدلة، فقرأ كتباً كثيرة في هذا المجال، كما ترجم عدداً من الأطباء أمثال الرازي والفرابي، والبيروني، وابن سينا، وابن البيطار، والبلخي، ومحمد بن جابر البتاني (سعد الله أبو القاسم، 1982: 20-30).

المنارة للاستشارات

مخلفاته وآثاره:

خلف ابن حمادوش الكثير من المؤلفات والمصنفات في مختلف المجالات والتخصصات، فكتب في الفلك والحساب، والهندسة، وألف في المنطق والأدب، والطّب، والفلك، والحساب، والكمياء، والمنطق، كما ألّف عدة رسائل في النحو، والشّعر، والبلاغة، وأغلب هذه المؤلفات ما زالت على حالها المخطوط تنتظر حظها من التّحقيقِ والتّنقيحِ، كما نالت بعض مخطوطاته عناية من طرف المحققين والدارسين، على غرار مخطوط كشف الرُّموز الذي حققه الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك (khiati Mostefa,2012 : 105-107) ، وكتاب لسان المقال الذي حققه المؤرخ أبو القاسم سعد الله (ينظر التعليق رقم 02)، غير أنّ اغلب هذه المخطوطات والمصنفات، هي مشتتة اليوم في خزائن ومكتبات، المغرب والمشرق، وفي ما يلي سنذكر بعضاً من مؤلفاته المشهورة خارج مجال الطب لأننا سنعرض ذلك في صلب الموضوع لاحقاً:

وهنا سنذكر بعضاً من مؤلفاته:

أ- **فتح المجيب في علم التكعيب**: ألَّفَ ابن حمادوش هذا المصنف سنة 1143 ه الموافق ل1731م، وخَصصهُ لدراسة الأبعاد والسطوح، والأنساق، كالمضلعات، والمستطيلات، والكرويات، والمخروطيات، وغيرها من الأشكال الهندسية التي يحتاجها الناس في حياتهم اليومية، لاسيما ما تعلق بفنون العمارة وبناء الجسور، وشق الطرقات، كما خصّص ابن حمادوش جزءاً من الكتاب لشرح عمليات الحساب والعد، وترتيب المقادير، والكيل، وغيرها من أدوات القياس، وقد نقل عن اقليدس، وابن الهيثم، والبيروني وغيرهم من علماء الرياضيات والحساب (ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 255).

ب- علم البلوط (ينظر التعليق رقم 03) : اهتم ابن حمادوش بعلم الملاحة البحرية، وتقنيات الإرشاد البحري، وذلك لحاجة البحارة به في ذلك العصر، الذي كانت فيه البحرية الجزائرية قوية (سعد الله

المنارة للاستشارات

أبوالقاسم، 1981: 226)، ولعل الغاية من تأليف ابن حمادوش لهذا المؤلف هو تسهيل مهمة البحارة.

ج- **لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال**(ينظر التعليق رقم 04): هذا المؤلف عبارة عن رحلة لابن حمادوش، ورغم أنه لم يذكر سبب تأليفه للرحلة ولا الغاية منها، ولا دوافع اختيار عنوانها وغيرها مما دَأب عليه عادة المؤلفون إلاّ أنّ الراجح في ذلك حسب قول أبو القاسم سعد الله يعود إلى ضياع الجزء الأول من لسان المقال، والذي يعتبر حوصلة لمجموعة رحلات قام بها ابن حمادوش لكثيرٍ من البلدان في مشارق الأرض ومغاربها، حيث ارتحل كثيرا منذ العشرينات من عمره، والتي ابتدأها بأداء فريضة الحج سنة 1125 ه - -1713 م، والثانية سنة 1130 هـ- 1718 م، كما رحل إلى المغرب الأقصى مرات عدة، منها رحلته إلى تيطوان سنة 1145 هـ- 1732 م، ثم فاس سنة 1156 هـ/ 1743 م، وسجل ابن حمادوش في رحلته ملاحظاته، ومشاهداته (بكاري عبد القادر، 2016: 239-241).

د- **الدرر عن المختصر في المنطق:** ألف ابن حمادوش هذا الكتاب سنة 1159ه- 1746م، وعرضه على شيخه العالم المغربي أحمد الورززي، بمناسبة زيارته لمدينة الجزائر، حيث أجازه وأثنى عليه ورخّص له في نشره وتدريسه لطلبته (ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 34)، ومما تحسن الإشارة إليه هنا أنّ ابن حمادوش أخذ في تأليف هذا الكتاب عن الشيخ محمد القسنطيني، وكتاب المختصر في المنطق للعالم الجزائري محمد بن يوسف السنوسي.

هـ - **تأليف في علم البونبة:** لابن حمدوش تأليف مجهول العنوان في علم القذائف والمدافع، ويرجع سبب تأليف ابن حمادوش في علم البونبة لحاجة الدولة وقتئذٍ إلى هذا العلم، وقد أخذ لتأليف هذا الكتاب عن سيدي عبد الرحمن الفاسي،كما كان قد تعلم نظرياته وتطبيقاته عن العلج حسن، ومحمد البونباجي (ابن حمادوش عبد الرّزاق، 2011: 246).

المنارة للاستشارات

كما أنّ لابن حمادوش تآليف أخرى في ميادين وعلوم مختلفة، فله مؤلفٌ في علم الفلك والإسطرلاب، لرصد الكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية (سعد الله أبوالقاسم، 1996: 170-179)، وله تأليفٌ في علم الأزمنة والروزنامة، كما كتب كراسةً في علم الكارطة لتوضيح حركة واتجاهات الرياح في البحر(بكاري عبد القادر، 2016: 239).

إسهامات ابن حمادوش في الطّب والصّيدلة:

رغم أنّ ابن حمدوش قد درس على طريقة عصره إلا أنّ اهتمامه كان منصباً بخاصة على مجال الطّب والصّيدلة الذي لم يكن محل اهتمام علماء عصره عامة، وعلماء بلاده خاصة، وكان شغفه بعلم الطِّب والأعشاب كبيراً، فقد انكبّ على كتب الطِّب العربيّة والأجنبيّة القديمة دارساً وناقداً، فقرأ ولخص تآليف كثيرة، ومن جملة الذين قرأ لهم في الطِّب: ابن سينا وابن الهيثم، والبيروني، والفرابي، والرّازي، وابن البيطار، أمّا من غير المسلمين فقد قرأ لِغليان وديسكيور(Edgezairy Abd Er- razzaq, 1874 : 3-7).

وكان ابن حمادوش يفتخر دائماً بتوجههِ العلمي، وقد لخص هذا حين قال عن نفسه في لسان المقال « ... أني أصبحت عشاباً وصيدلاني وطبيباً في بعض الأمراض...» (ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 164)، كما افتخر بأنّ الأعشاب التي قيدها في تأليفه كلها معروفة لديه، وتبرز إسهامات ابن حمادوش في الطب الجزائري إبان العهد العثماني في تلك المخلفات الغزيرة والكتب والمصنفات الكثيرة التي خلفها ومنها نذكر:

أ-الجوهر المكنون في بحر القانون : الجوهر المكنون عبارة عن موسوعة طبية ضخمة، سار فيها ابن حمادوش على الطريقة الأبجدية في ترتيب الموضوعات، وفصلها إلى أربعة كتب، كل كتاب يحتوي على أقسام من الشّعب، حيث خصّص الكتاب الأول إلى السّموم وذوات السّموم والعلاج منها، أما الكتاب الثّاني فقد خصّصه

المنارة للاستشارات

إلى التّريقات وما يجري مجراها، وبعض المعاجين. أمّا الكتاب الثّالث فتحدث فيه عن الأمراض، وقد بناه على جدول ابن إسحاق، وجميع الكتب السابقة هي مفقودة، وعِلْمنا بها يبقى مجرد تكهنات استقيناها من خلال ما ذكر المؤلف عن الجوهر المكنون في الرّحلة، أمّا الكتاب الرَّابع فقد خصّصه لشرح ألفاظ والمصطلحات وتعريبها، وهو حسب ما ذكر أبو القاسم سعد الله، كتاب كشف الرموز(سعد الله أبو القاسم، 1982: 80)، وقد قال ابن حمادوش عن كتابه الجوهر المكنون بأنه «كتاب جليل يتوشح به الأصاغر ولا تمجه الأكابر فيه الأسباب والعلامات والعلاجات...» .

ب-كتاب كشف الرموز(ينظر التعليق رقم 5): خصّصه ابن حمادوش لدراسة الأعشاب الطّبية وتصنيفها، وذكر منافعها الطّبية، هو في الحقيقة الجزء الرَّابع من الجوهر المكنون، والكتاب ذو أهمية كبيرة، فقد ترجمه الطبَّيب الفرنسي لوسيان لكليرك Loucien LECLERC (1816 -1893)، ودرسه غبريال كولان COLIN Gabriel (1825 – 1896) م ، الذي حصل به على دكتوراه في الطب (ينظر التعليق رقم 6)، وقد نُشر الكتاب بلغات أوروبية مختلفة، ويعد كتاب كشف الرموز قاموساً صيدليا سار فيه ابن حمادوش على طريق المعاجم الأبجدية (Edgezairy Abd Er- razzaq, 1874 : 2)، ونقل ابن حمادوش في تأليف كشف الرموز عن الأنطاكي وابن البيطار، الذي ذكره في مناسبتين، وابن سينا وبعض علماء الطب اليونانيين(Edgezairy Abd Er- razzaq, 1874 : 3- 4).

وتضمن الكتاب بعد مدخل أنواع وأوصاف النباتات والأعشاب الطّبية، وأسماء العقاقير والحيوانات، والمعادن أيضاً(سعد الله، أبوالقاسم، 1998: 432)، وقد أشاد لكليرك بأهمية كشف الرموز، فقد قال عنه أنّ ابن حمادوش لم يستند في تأليفه على الخرفة، وأنّ فيه إضافات جديدة في مجال الطّب، وقد قال عن مُؤلفه أنّه من آخر الممثلين للطّب العربي الإسلامي(LECHERC loucine, 1876: 310). أمّا كولان فقد أشاد به واعتبر كشف الرموز كمرجع لا

المنارة للاستشارات

يستغنى عنه أيّ طبيب في ذلك العصر(Gabriel, 1905 : 309 Colin).

ولعلَّ ما جعل كشف الرموز، يأخذ هذه القيمة في أعين النقادِ، أنّ ابن حمادوش سار فيه على منهجٍ علميٍ واضحٍ، فبعد المدخلِ أخذ في تعريف الدواء ووصفه، ثم ذكر الأسماء الأخرى التي تطلق عليه في مختلف البقاعِ، مع ذكر خصائصه وفوائده العامة والخاصة، وكيفية استعماله، والكمية الضرورية منه، ومن وجهة أخرى يذكر الأمراض ويحدد الأعراض، والأدوية المناسبة للعلاج ويذكرُ منافع ومضار كل نباتٍ، وكان ابن حمادوش دقيقاً في المقادير والأقساط الأوزان.

ج- كتاب تعديل المزاج بِقوانين العلاج(Gabriel, 1905 : 25- Colin 45): ألّف ابن حمادوش هذا الكتاب سنة1161 ه- 1748م، في مدينة الرَّشيد بمصر، والموضوع الرّئيسيُّ لهذه الرَّسالة هو وظائف الأعضاء التّناسلية والاضطرابات التي تُصيبها وعلاجها، ونعتقد من خلال هذا العنوان أنّ عبد الرّزاق بن حمادوش تحدث فيه أيضاً عن النفس ومزاجها، وخلافاً لمؤلفاتهِ السّابقة فقد اعتمد على الطب النّبوي، حيث أدرج في تعديل المزاج أحاديث نبوية، وفي هذا الكتاب حاول تفسير أحوال المزاج والطبائع، والسلوك، وعلاقتها بالجنس عند الرجل والمرأة، مازجاً بين الطب العضوي، والطب الروحاني النفسي، واعتمد في انجاز هذا المؤلف على كتابات أبي قراط، وغاليان، وابن سينا، وحنين، وابن إسحاق (سعد الله أبو القاسم، 1982: 85).

منهج ابن حمادوش في الطب والصيدلة:

في الوقت الذي كان اهتمام أغلب علماء عصره منصباً على دراسة آثار الأولين، كان ابن حمادوش يبحث في كتب الطب والهندسة، فبالرغم من أنّه عاش في بيئةٍ تعتمد على النقل أكثر مما تعتمد على العقل، وهذا ما لخصه الورثلاني واصفا الوضع في نزهة

المنارة للاستشارات

الأنظار قائلاً «...فإنهم مشتغلون بالنحو الفقه والحديث خصوصاً...(الورثلاني محمد، 1908: 117) » كما أشارت أيضاً المصادر الأجنبية إلى ضعف العلوم الطبيعية مقارنة بالعلوم النقلية في الجزائر خلال ذلك العهد، الذي قال فيه وليم شالر « ..أمّا حالة العلوم، فإن مما لا جدوى فيه الحديث عنها، حيث أنها غير موجودة، محتقرة بل أن علم الطب لا يوجد من يدعيه، هذا إذا ما استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز ...» (شالر وليام، 1982: 81)، كما وصف الدكتور شاو، الصيدلة بالبدائية التي تعتمد على الشعوذة والطلاسم (Dr SHAW, 1830 : 136). إلا أنّ ابن حمادوش شذَّ عن هذه القاعدة، فتوجه إلى دراسة العلوم الطبيعية وبرع فيها، فاعتمد في تآليفه الطبية على المناهج الحديثة المطبقة في العلوم التجريبية.

وقد استعان ابن حمادوش بتقنيات البحث العلمي، كالملاحظة العلمية، حيث وقفنا في رحلته على تلك الملاحظات الدقيقة، التي سجلها في لسان المقال، ومنها على سبيل المثال ما ذكره من وصف المياه واختلاف ألوانها ووصف الطيور والنباتات مع تسجيل خصائصها ومقارنتها بما في بلاده من أنواع(ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 73).

أمّا التجربة فكانت منهجه في صناعة الدواء والترياقات، فاعتمد على إخضاع العيينات والحالات إلى أدوية معينة، ومقادير مضبوطة، ومنها سار إلى التّعميم في إصدار الأحكام، ثم وضع المقادير المناسبة لصناعة الدواء، ولعل ما يثبت ذلك ما ذكره عن مرضه الذي أصابه بفاس حيث قال فيه « ...أصابتني حمى شديدة فلم استطع القراءة حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من (السكينة كينة) فاشتريتها بستة موزونات، فلما أخذتني واشتدّ بي بردها ...دققت الثمن الأول وشربته في فنجال قهوة، فلما استقر في بطني، أَمْسَكتْ الأعضاء كلها عن الاختلاج إلا عرقاً واحد في يد اليمنى بقي يختلج اختلاجا يسيراً، فلما شربت الثمن الثاني انقطع من كل عضوً، ثم شربت الثمن الثالث فلم يبق بي ألم منها، إلا أنها كسر

المنارة للاستشارات

سورتها الدواء كأنهما تعاندا وتدافعا فثقلت من شدة الحرارة والزمني النوم فبقيت كذلك إلى غروب الشمس، فانصرفت تلك الحرارة عني، والحمد لله ... » (ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 84)، ويظهر من هذا كله أنّ ابن حمادوش كان دقيق الوصف للأعراض متتبعاً للداء وما يحتاجه من مقدار الدواء.

كما نجده اعتمد المقارنة العلمية معتمداً الأدلة والبراهين في إثبات صحتها، وعقد أوجه الشبه والاختلاف، بين المعادن المتشابهة في الخصائص والصفات الكيميائية، ومن التجارب التي قام بها ابن حمدوش، في هذا تجربته على الماء، فقد اخترع مجوفاً من الزجاج عبارة عن أنبوبة مدرجة كروية المؤخرة، حيث وضع فيها كمية من حبيبات الرّصاص، ويملؤه بنفس المقدار من الماء ويقارن النتائج، وذلك لمعرفة أنواع المياه، وللفائدة نقلنا هذا النص من الرّحلة حيث قال، « ...وماء البحر هو أخف المياه يصل إلى منتهى المجوف، وتلك النقط التي أسفله مثلها فيه من حب الرصاص الرقيق، فإذا كان الماء أثقل منه غرق في المجوف بقدر ثقله، أما بدرجة أو بدرجتين أو أكثر، فماء الحامة عندنا، وماء تلاملي أعدل الأمياه عندنا بلغ إلى السادسة، فإنه أثقل من ماء البحر بستة أدراج، وماء المطر وبعض الآبار أثقل منه بدرجة، وأثقل من ماء البحر بسبعة أدراج، وما كان أثقل منه يغرق، أكثر لأن جملة نقطة ثلاثة عشر، خمسة أحمر والسادسة خضرا وفوقها ستة حمر والسابعة خضراً...» (ابن حمادوش عبد الرزاق، 2011: 219)، ومن خلال هذا ندرك أهمية التجربة بالنسبة لنتائج ابن حمادوش التي تحرى فيها منهج العلوم الحديثة.

وكان ابن حمادوش يحاول أن يطبق ما قرأه، ويقارن بين ما توصل إليه وما عند غيره ممن سبقوه، ثم يؤلف فيه، كما أجرى التجارب على النباتات، وركب المعاجين الطبية، ودرس اتجاه الرياح، وغيرها من التجارب التي كان يقوم بها في دكانه الذي كان

المنارة للاستشارات

بمثابة مخبر، متخذاً من التجربة ثم الملاحظة ثم الاستنباط منهجاً في العلوم الطبية، وهذا ما جعل مؤلفاته تأخذ صفة العلمية.

وقد أشاد به الطبيب الفرنسي لكليرك والطبيب غابريال كولان، حيث قال الأول إنّ مؤلفات ابن حمادوش لا تستند على الخرافات كما هو شائع في الجزائر آنذاك، وقال إنّ ابن حمادوش يمثل آخر العلماء المسلمين العظام في مجال الطب(LECHERC loucine, 1876: 310)، أمّا غبريال كولان فقد أثنى على كتابات ابن حمادوش وبخاصة كشف الرموز الذي درسه ونال من خلاله درجة دكتوراه في الطب (Colin Gabriel, 1905 : 25-45).

الخاتمة:

وختاما لهذا البحث يمكننا استخلاص ما يلي :

لقد كان ابن حمادوش شديد الاهتمام بملازمة العلماء والفضلاء، ومصاحبة المشايخ والصلحاء، دارساً ومستجيزاً، شارباً من أيديهم مداد العلوم وفيض الآداب، ليصنع من ذلك فكره المتميز المبدع.

إنّ عبد الرزاق ابن حمادوش يعدّ بحقٍ فريد زمانه، فقد طرق باب علومٍ كثيرةٍ، فكتب في التّاريخ والأدب، وألّف في الحساب والفلك، كما خلف رسائل في المنطق والتصوف، فكانت إسهاماته في الطب والصيدلة نجوماً اهتدى بها الجزائريون في تلك العتمة العلمية التي أغشت سماء البلاد في العهد العثماني.

كما أشاد الصديق، والعدو، بمنهج ابن حمادوش في كتاباته العلمية، ولاسيما في مجال الطب والصيدلة، ما دفع بعضهم لترجمة أعماله التي ذاع صيتها في الأرجاء.

إننا من خلال هذه الورقة البحثية لا يمكننا أنّ نفي بحق ولا بمكانة ابن حمادوش، فهو -لسعة إطلاعه وكثرة معارفه ومؤلفاته- يستحق اهتماماً أكثر ودراسة أشمل، ولعل هذا العمل سيكون نواة

المنارة للاستشارات

أولى لبحث جاد من قِبل الباحثين المختصين في حقل التراجم والسير لدراسة سيرة ابن حمادوش -رحمه الله-.

التعليقات والشروح :

1. الدباغة: دبغ الجلد حرفة قديمة تقوم على تحويل جلود الحيونات (أغنام ثيران جمال) من حالتها الأولى إلى مادة ينتفع بها لصناعة الحقائب والسروج والأحذية وغيرها من المستلزمات، وكانت حرفة الدباغة منتشرة ورائجة في القديم، إلا أنها كانت تعتبر حرفة مرهقة ولاسيما رائحتها الكريهة : ينظر (شذى بشار حسين محمد، 2004: 39 40).

2. رحلة ابن حمدوش الموسومة بلسان المقال حققها الدكتور أبو القاسم سعد الله، والتي تعتبر من أهم مصادر دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، والمغرب الأقصى الحديث، فهي تزخر بالمعطيات السياسية والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، عن المغرب والجزائر، ويعتقد سعد الله أنّ جزءها الأول مفقود، وفيها تعرض ابن حمدوش لفترة شبابه .

3. بلوط كلمة مأخوذة من الكلمة pilote الفرنسية و pilota الإيطالية ينظر : (حسن فقيه الحسن، 2001: 539).

4. رحلة ابن حمادوش الموسومة بلسان المقال حققها الدكتور أبو القاسم سعد الله، والتي تعتبر من أهم مصادر دراسة تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، والمغرب الأقصى الحديث، فهي تزخر بالمعطيات السياسية والثقافية، والتاريخية، والاجتماعية، والاقتصادية، عن المغرب والجزائر، ويعتقد سعد الله أنّ جزءها الأول مفقود، وفيها تعرض ابن حمدوش لفترة شبابه .

5. أول نسخة ورقية من الكتاب بعنوان، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، كانت باللغة الفرنسية، والتي حققها الطبيب الفرنسي لكليرك صدرت سنة 1874، ثم صدرت نسخة ثانية باللغة العربية سنة 1928، والتي تعرف بنسخة رودوسي، نسبة إلى ناشرها أحمد بن مراد التركي، ونال الطبيب غابريال كولان بعد دراسته وتحقيقه لكشف الرموز درجة

المنارة للاستشارات

دكتوراه في الطب من جامعة الجزائر سنة 1905.ينظر : (بكاري عبد القادر، 2016: 236).

6. هذه هي المعلومات الكاملة عن الأطروحة: Colin : Gabriel ABDERRAZZÂQ El- JAZÂÏRÎ, un médecin arabe du XIIe siècle de l'hegire, Imp DELORD -Boehm et martial éditeurs du Montpellier médical, Montpellier, 1905 .

قائمة المراجع:

- ابن حمادوش عبد الرزاق الجزائري ، (2011). **رحلة عبد الرزاق بن حمدوش الجزائري المسماة لسان المقال في النّبأ عن النّسب والحَسب والحال**، تق وتح وتع : أبو القاسم سعد الله، طبعة خاصة، الجزائر :عالم المعرفة.
- بكاري عبد القادر، (2016). « عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة ب لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال ». **مجلة عصور جديدة**، جامعة وهران، العدد 26، ص ص 239 259.
- حركات إبراهيم ، (1994). **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنيين ونصف قبل الحماية**، ط2، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.
- حسن فقيه الحسن، (2001). **يوميات ليبية**،ج1، تحق محمد الأسطى. عمار جحيدر، ليبيا: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- سعد الله أبو القاسم ، (1996). **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج4.
- سعد الله أبو القاسم ، (1998). **تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1830**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المنارة للاستشارات

- سعد الله أبو القاسم ،(1990). **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط3 ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج1.
- سعد الله أبو القاسم، (1982). **الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري**، (د.ط)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- شالر وليم ،(1982). **مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824**، تعر تقد تعل: إسماعيل العربي، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- شذى بشار حسين محمد، (2004). **دباغة الجلود وصناعتها في بلاد الرافدين**، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة في التاريخ والآثار، كلية الآداب جامعة الموصل، العراق.
- نويهض عادل ، (د.ت). **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية.
- الورثلاني الشريف محمد ، (1908). **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، تحق: محمد ابن أبي شنب، (د.ط)، الجزائر : مطبعة بيير فونتانا الشرقية.

Abd Er-razzaq Edgezairy .(1874). Kachef er-roumouz. traduit par Leclerc Loucien. Paris: éditeur Ernest Leroux,

Dr SHAW .(1830). Voyage dans la Régence d'Alger. Traduit par Mac Carthy. Paris: Éd Marlin..

Gabriel Colin .(1905). ABDERRAZZÂQ El- JAZÂÏRÎ, un médecin arabe du XIIe siècle de l'hégire. Montpellier: Imp DELORD -Boehm et martial éditeurs du Montpellier médical.

Khiati Mostefa. (2012). histoire de la médecine en Algérie « de l'antiquité à nos jours » la médecine dans l'Algérie ottomane du XVe au début du XIXe siècle. Algérie: dar Houma.

LECHERC Loucine .(1876). Histoire de La Médecine Arabe. T2. Paris: éditeur Ernest Leroux.

المنارة للاستشارات